الإضاءة في التصوير

قيمة أي عمل فيلمي تاتي من ما يجسد في تفاصيل يشاهدها المتلقي ليتمتع بها، ولا تجسيد او تفصيل لاي جزء في الجسم المصور ما لم تتوافر الإضاءة، فمن البديهي أن تستعص عملية التصور ما لم تكن هناك إضاءة، فالإضاءة هي التي تجسم الأشياء لخلق الإحساس بها، حيث أن أي جسم مهما بلغ حجمه أو شكله لا يمكن أن يكون له إحساس بصري ما لم تكون هناك إضاءة مسلطة عليه، وهذه الإضاءة ليس بالضرورة أن تكون من أستوديو أو أن تكون طبيعة مصدرها الشمس، بل يمكن أن تكون إضاءة مصابيح اعمدة شوارع أو إضاءة من مصابيح السيارات أو إضاءة من أنواع أخرى، المهم أن تكون هناك إضاءة تحسس البصر أولا، ومن تم تحسس الفيلم في الكاميرا أو تحسس المتحسسات والصمامات في الكاميرا الرقمية والتلفزيونية.

إذن لابد من وجود إضاءة لكي تكون عملية تصويرية ولابد من توزيع الإضاءة لنظهر ما نريد ظهوره في الصورة، فعلى سبيل المثال لا يمكن لنا أن نضيء سيارة من الخلف ونترك واجهتها غير مضاءة ففي هذا الحال في الواقع ينبغي وجود الإضاءة وإلا تنتفي عملية التصوير، فنحن على سبيل المثال نريد أن نظهر السيارة من الأمام إذن علينا أن نسلط الضوء على السيارة من الأمام، وان كنا نريد أن نصور السيارة من الجانب الأيسر فيجب أن نسلط الضوء من الجانب الأيسر، وهكذا مع أي اتجاه نريده، ولكن علينا أن نعي جيدا أن هذا المصدر الذي سنوجهه على الأجسام التي نريدها تظهر بالصورة، يمكن أن يكون مصدر شديد التوهج ويمكن أن يكون خافت أيضا، ويمكن أن يكون المصدر بمجموعة من المصابيح ويمكن بمصباح واحد، ويمكن بلون ويمكن بمجموعة من الألوان، وهناك أمور أخرى تدخل في إضاءة الأجسام التي نرغبها في التصوير.

إن القدرة والمعرفة والدراية في التحكم بالمصادر الضوئية، هي أعلى مراحل التوزيع في الإضاءة، وذلك لان المصمم الجيد هو الذي يحكم استخدام المصادر الضوئية ويعمل على إبراز الأشياء من خلال رسم ضوئي يحققه في توزيع المصادر الضوئية على الأجسام، وهذا الأمر يتعلق أيضا" بأمور أخرى مهمة وأساسية في عمل الكاميرا" فلابد أن يدرك المصمم للإضاءة ما معنى الحساسية الفيلم ولا بد أن يعرف ما هو "الكلفن"[1]، ولابد أن يعرف كيف تتحقق عمليات

---

[1] الكلفن هو درجة الحرارة اللونية.

الطبع في الفيلم، وما مدى تأثير الطبع والتحميض على الناتج النهائي لعمله كمصور، للإضاءة، لابد أن يدرك الموزع الحلول التي تحقق له نتائج سريعة في الإنتاج، كأن يفهم عمل المرشحات (Filters) ومخفضات الضوء أو مخففاته (Diffuser) والعاكسات (Reflectors) وأمور أخرى كثيرة في العمل، لابد أن يجرب كل ما ذكرنا، ويلاحظ النتائج التي حتما" ستستعرض الاختلافات في حال تغيير أبسط شيء.

للإضاءة دور فعال وأساس في تغيير الكثير من الأشكال وتغيير العديد من الموضوعات، (إن الإضاءة تحمل قدرة في توصيل المضامين من خلال رسمها في الموضوعات التي تعمل بها)[1] ، فهناك الكثير من الموضوعات على سبيل المثال نراها في التلفزيون بشكل ما، وحين نتحقق من المكان الذي عرض في التلفزيون من دون الإضاءة سنكتشف أن هناك فرق شاسع وغريب، ولعل هذا الأمر تناولته العديد من المصادر العلمية (تساعد الإضاءة كثيراً على خلق أشكال متعددة فهي تؤدي دوراً بارزاً في تجسيد قيم ومبادئ للمضامين في الدراما التي هي بالأساس تحمل مضامين عديدة، وهنا لابد من الإشارة إلى أهمية دور الإضاءة في رسم الأشكال لكثير من الأعمال الدرامية سواء في السينما أم في التليفزيون، حيث تقوم الإضاءة لخلق جو نفسي عام من خلال قدرتها على خلق اللون من استخدام مؤثراتها في تقنية جهاز الإضاءة ذاته)[2] أو بالظل[3].

أمور كثيرة تقع على عاتق عمل موزع الإضاءة، ولا يمكن استغفالها أو إهمالها على الإطلاق، ذلك أن هذه الأمور تتسبب في ظهور نتائج غير مرغوبة (إن الإضاءة تحمل قدرة في توصيل المضامين من خلال رسمها في الموضوعات التي تعمل بها)[4]، أهمها الإحساس الذي لابد وان يتوفر في الموزع للإضاءة، فلا بد أن تعرف هذه العين الجميل من القبيح، ولابد أن تميز ما بين الصحيح والخطأ ولابد أن تدرك ما هو الحل إلا مثل والأنجع للحالات التي تبرز وتظهر في العمل

---

(١) انظر: صائب غازي- تعبيرية الإضاءة في أفلام مدير التصوير حاتم حسين، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص٩.

(٢) عبدالباسط سلمان- مظاهر العولمة، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٢ ص ٩١

(3) Ritsko (Aian.j) Lighting for location motion pictures, USA. 1979. P.8.

(٤) انظر: صائب غازي، تعبيرية الإضاءة في أفلام مدير التصوير حاتم حسين، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص٩.

هذه الأمور كلها تتحقق من خلال التمرس والتدريب والدراسة، فلا يمكن أن تنشأ بالموهبة فقط، ولا يمكن أن تنشا بالدراسة دون التمرس، وأيضا لا يمكن أن تكون ما لم تكن هناك تجارب جمالية للعين ذاتها، فالعين ترى في اليوم الواحد الملايين من الألوان والأشكال والأجسام والمكونات، وما لم تتمكن من معرفة ما هو مهم وجميل وصحيح وناجح لا يمكن أن يكون الموزع للإضاءة ناجح[1].

إن الإضاءة في التصوير تشكل البنية أن لم تكن الصورة نفسها، وما لم يكن المصور مدرك للإضاءة يستحيل أن يقدم أعمال تستحق الثناء أو المنافسة، فالمصور بطبيعة عمله التقليدية يوزع الإضاءة بأشكال متعددة في كل صورة، وهو لا يدرك ذلك العمل في اغلب الأحيان، وخصوصاً في التصوير الفوتوجرافي، حيث تراه على سبيل المثال يستخدم إضاءة الوميض الـ (Flash) بالمناطق المظلمة أو بالمناطق التي يعتقدها المصور بأنها تحتاج إلى إضاءة، هناك جملة من التدابير يتخذونها المصورين أثناء التصوير مع أجهزة الإضاءة، فهناك على سبيل المثال أجهزة إضاءة في استوديوهات التصوير يستخدمها المصور في تصوير الصور الرسمية الخاصة بالمعاملات أو في تصوير البورتريت، وهذه الأجهزة التي تسمى بـ(Umbrella) المظلات توزع الإضاءة في الأستوديو على الجسم المراد تصويره، وتوزع الإضاءة بشكل معتدل أو متوازن، الأمر الذي يجعل من الصورة واضحة المعالم وباهية، إلا أن هذا الاستخدام لهذه التقنية يعتبر" استخدام غير مرغوب لدى بعض المصورين الذين يميلون إلى استخدام الإضاءة بالمصابيح لرسم الملامح وتجسيمها، هناك البعض من المصورين يميلون لاستخدام مظلات اثنين أو ثلاثة أو أربعة ويخفضون شدتها، بعد أن يوزعوا المظلات بأكثر من مكان أو زاوية في الأستوديو، ومن ثم تظهر نتائج أكثر تجسيم مما هو عليه في الاستخدام التقليدي للمظلات، وأيضا هذا الحال ممكن أو معمول به في السينما التي يقوم بعض المصممين للإضاءة باستخدام مصباح كبير جدا" بواقع (K5) من نوع (Daylight) المصحوب بجهاز مكثف يمنح فيض من الإضاءة المنتشرة في الأستوديو، وهو ما يطلق عليه (arson) أو (Senior)[2] والذي من خلاله تتلاشى إضاءة باقي المصابيح المنتشرة في الأستوديو، حيث أن هذا النوع ينشر الإضاءة بشكل متوازن،

---

(١) أنظر عبد الباسط سلمان، التشويق ورؤيا الإخراج، القاهرة الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠١.

(٢) أنظر عبد الفتاح رياض- الضوء والإضاءة في التصوير الضوئي، القاهرة، جمعية معامل الألوان ٢٠٠٢ م ص ١٥٤.

خصوصاً عندما يسلط على السقف، يقوم بدفع كمية من الضوء المتشتتة ضمن كتلة واحدة وعريضة وذلك لأنه يحتوي على مشبك أو عدسة تقوم بمثابة المظلة في الأستوديو الفوتوجرافي، يقوم المشبك أو العدسة بتوزيع الضوء ونشره، والواقع أن أكثر مدراء التصوير في السينما ممن لهم اسم رفيع في السينما يميلون إلى استخدام مجموعة من المصادر المتعددة والمتنوعة في رسم المشهد، وذلك لتحقيق صورة بأبعاد فنية تشكيلية لخلق صورة مجسدة للملامح لا سطحية[1].

هناك مستويات في الإضاءة معروفة ومستخدمة في العديد من الأعمال الفنية، حيث أن لكل واحد مستوى من تلك المستويات استخداماته وتبريراته في الاستخدام، والمصور لابد أن يدرك هذه المستويات لكي يتقن ويبدع إظهار الصورة بأفضل وأجمل النتائج الصورية، وخصوصاً في مجال التصوير السينمائي الذي كثيرا" ما يحتاج إلى استخدام متعدد في هذه المستويات لتحقيق المزيد من الجماليات والإثارة والإبهار، ولتحقيق الدلالات المتعدد والمتنوعة والتي تدخل ضمن الوظيفة للإضاءة، إذن لابد من إدراك الإضاءة ومستوياتها ولأهمية تلك المستويات، لابد من استعراضها حسب ما يلي :-

أنواع الإضاءة

ذكرنا ان القاعدة الذهبية بالفن ليس هناك لا قاعدة، على ان نعرف كل القواعد، والواقع ان فن توزيع الإضاءة يقوده مجموعة من العوامل في ابراز جماليته، منها اللون ومنها المسافة ومنها الحركة ومنها طبيعة النسيج المصور الخ، فكل هذه الامور بمقدورها التاثير بشكل كبير في الانارة، الا اننا يمكن ان نسيطر على ذلك لو اننا ادركنا طبيعة الاضاءة من خلال معرفتنا بانواعها، والتي يمكن ان تقسم حسب ما ياتي:-

١- إضاءة أساسية "Key light" وهو النور الذي يلقي الظلال الأساسية، ويعطي الاتجاه الرئيس للإضاءة بشكل عام.

٢- إضاءة أمامية "Front light" ويكون اتجاهه مثل اتجاه الكاميرا أي الوجه موازيا لمحور العدسة ونحو الموضوع رأسا.

٣- إضاءة جانبية "Cross light" وتكون على يمين الموضوع أو على يساره سواء كانت متجهة إلى أعلى ا والى أسفل.

---

(١) انظر لوي دي جانبي- فهم السينما، مصدر سابق.

٤- إضاءة علوية "Top light " وتكون فوق الموضوع موجهة إلى أسفل.
٥- إضاءة جانبية خلفية "Cross back light": وتكون من خلف الموضوع من اليمين أو اليسار من وضع عال أو من الأرض.
٦- إضاءة خلفية "Back light" تكون خلف الموضوع تماما، وغالبا ما يكون وضعها عاليا، وفي بعض الأحيان توضع منخفضة جدا على الأرض.
٧- إضاءة العينين "Eye light" لإظهار بريق عيني الممثل، خصوصا في اللقطات المكبرة (كلوز- أب).

والواقع ان هذه الاضاءة بحالتين من الإضاءة، ولكل منهما وسائله الخاصة.

أ-إضاءة مركزة: وتمدنا بأشعة محدودة ومركزة، وعادة ما تكون خشنة، وهي تمر عبر بعض العدسات، ولذلك يمكنها أن تكون مركزة ومباشرة، ويكون لها ظلال.

ب- إضاءة غامرة(منتشرة): فتاتي عن طريق العواكس التي تعمل على جعل الضوء منتشرا وغير محدد.. وفي كثير من الأحيان يستخدم النوعان.[1]